KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

ثنائيّة التصالح والصراع مع الدهر في شعر أبي مسلم البهلاني

أ.م.د. عيسى بن سعيد بن عيسى الحوقاني
أ. علي بن سالم بن حمود المسعودي
جامعة نزوى . سلطنة عمان

DOI: https://doi.org/10.36322/jksc.v1i71.15062

الملخص:

سعينا في هذه الدّراسة إلى البحث عن ثنائيّة التصالح والصراع مع الدهر في شعر (أبي مسلم البهلانيّ)؛ وذلك بتتبّع كلّ علاقة من هاتين العلاقتين؛ لمعرفة الأسباب التي أدّت إلى تصالح الشاعر مع الدهر تارةً، وتصارعه معه تارةً أخرى، وذلك باستنطاق النصوص الشعريّة وسبر أغوارها، على وفق المنهج الوصفيّ التحليليّ مع الاستعانة بالمنهج الموضوعاتي؛ لتقسيم علاقتيْ التصالح والصراع على حسب الموضوعات، وأولينا الاهتمام بثلاث صورٍ تجلّت فيها علاقة تصالح الشاعر مع الدهر: أولها صورة الزمن الصرف الذي لا يثير أي ردة فعل، وثانيها صورة الفاعل الإيجابي الباعث للرضا والسرور، وآخرها صورة الفاعل السلبيّ الباعث للصبر والتجلّد، وتناولنا علاقة صراع (أبي مسلم) مع الدّهر، وبيّنّا أسباب اختلاف درجات ذلك الصراع وارتباطها بالجانب النفسيّ للشاعر، وكشفنا عن ثلاث صورٍ شكّلت الصراع مع الدهر: أولها الوصف السلبيّ، وثانيها الشكوى، وآخرها المواجهة. وقسم البحث إلى مقدمة وثلاثة محاور هي: علاقة التصالح مع الدهر وعلاقة الصراع مع الدهر وتحولات الصراع من الشكوى إلى المواجهة.

الكلمات المفتاحيّة: التصالح، الصراع، الدهر، أبو مسلم، البهلانيّ ، الرواحيّ.

Abstract:

This study explores the dichotomy of reconciliation and struggle with time in the poetry of Abu Muslim Al-Bahlani. The paper traces each of these two relationships to identify the reasons that led to the poet's reconciliation

ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

with time in some instances, and his struggle with time at other instances. The study deeply analyzes the poetic texts using the descriptive and analytical approach, as well as the thematic approach in order to sort the relations of reconciliation and struggle according to themes. In this paper, three images of poet's reconciliation with time were extracted as follows: The first image is an image of pure time that does not provoke any reaction. The second is the image of the positive actor that elicits satisfaction and pleasure, while the last of which is the image of the negative actor that elicits patience and perseverance. As for Abu Muslim's struggle with time, the study explains the reasons for the different degrees of that struggle and their connection to the psychological aspect of the poet. Three images that formed the struggle of Abu Muslim with time were extracted as follows: negative description, complaint and confrontation.

The study is divided into an introduction and three sections as follows:

- **Relationship between reconciliation and time.**
- **Relationship between struggle and time.**
- **Struggle shifts from complaint to confrontation.**

keywords: Reconciliation, struggle , time, Abu Muslim, Al-Bahlani, Al-Rawahi.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

المقدّمة:

تعدّ ثيمة الدّهر من الثّيمات الّتي سجّلت حضورًا لافتًا في المدوّنة الشّعريّة العربيّة – قديمها وحديثها– فهي من الموضوعات الّتي لها القدرة على ترجمة انفعالات الشّعراء على مرّ العصور، واختلف توظيف الشّعراء لها بناءً على اختلاف مواقفهم منها، فتارةً يعبّرون عن دلالتها الحقيقيّة، وتارةً يعبّرون عن دلالتها المجازيّة بناءً على ما وافق أهدافهم من النّصوص الّتي حضرت ثيمة الدّهر فيها، ولا غرابة أنْ يتأثّر الإنسان بالزمن إذ إنّه «الكائن الوحيد الّذي يحسّ بالزّمن في حركته الذّاهبة والآيبة، ويتأثّر بهذه الحركة، ويؤثّر فيها سلبًا وإيجابًا، إذ كلّما ازدادت خبرة الإنسان – الكاتب – في الحياة ازداد إحساسه ووعيه بالزّمن، ويؤثّر ذلك في حياته الأدبيّة والفكريّة»[١]

وتتضارب الأقوال في تعريف الدّهر، فهناك من يراه مرادفًا للزّمان دون شروطٍ، وهناك من يجعله مرادفًا للزّمان بشروطٍ معيّنةٍ، وهناك من لا يرادف بينهما أصلًا، ويلخّص (أحمد فضل شبلول) تلك الأقول في (معجم الدّهر) إذ يقول: «منها ما اتفق على أنَّ الزّمان والدّهر واحدٌ، أو أنَّ الدّهر هو الزّمان الطويل، أو الزّمان قلَّ أو كثر، ومنها أنَّ الزّمان يقع على جميع الدّهر، وبعضه، ومنها أنَّ الزّمان: شهرٌ إلى ستة أشهر، أمَّا الدّهر فلا ينقطع، ومنها أنَّ الدّهر يقع على وقت الزمان من الأزمنة وعلى مدة الدُّنيا كلِّها، ومنها من يقول إن السَّنة عند العرب أربعة أزمنةٍ: ربيعٌ وقيظٌ وخريفٌ وشتاءٌ، ولا يجوز أنْ يُقال أنَّ الدّهر أربعة أزمنةٍ، فهما يفترقان»[٢] وليس المقام مقام العناية بهذه الفروق وإنّما تعنينا في هذا المقام جميع الألفاظ التي تحيل على الدلالة الزمانيّة فما الدهر بالنسبة لنا غير بؤرة تحيط بها مجموعةٌ من الألفاظ التي تحيل على دلالتها وإن تفاوتت درجات تلك الدلالة.

وكشف توظيف ثيمة الدّهر في النّصوص الشّعريّة عن السّياقات الّتي أورد فيها الشّعراء الدّهر، وعن طبيعة العلاقات القائمة بينهم وبين هذه الثّيمة، وهي علاقاتٌ عبّرت عن تفاعل الشّعراء مع الثّيمة كما عبّرت عن مواقفهم منها.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

وتفاعل الشاعر مع التجارب يختلف عن تفاعل غيره «فحياته كلّها ذات صبغةٍ انفعاليّةٍ عاليةٍ إذا ما قورنت بانفعالات الإنسان العادي، وإذا تعرض كلاهما لموقف واحد فإننا واجدون تباينا جليا في تعاملهما مع هذا الموقف؛ إذ يغلب أن يكون رد فعل الشاعر أكثر انفعالاً»[٣]، وبقدر ما يظهر الشاعر رهافة في الحس، يظهر كذلك عمقًا في الرؤية من خلال نصوصه الإبداعيّة، فـ «الشعر ينقل للناس عصارة علاقتهم بالمحيط الطبيعي الذي يجدون فيه أنفسهم فيعرفهم بأشيائه وبنوعية العلاقات التي تقوم بين هذه الأشياء وبالمواقف التي يتخذونها منها»[٤] وتكون هذه المواقف مواقف محايدة تارةً فيلتزم فيها أصحابها بالنظرة الموضوعية للأشياء، وتكون ذاتية تارةً أخرى فيبتعد فيها أصحابها عن الحياد، وتنقسم إلى مواقف إيجابية ومواقف سلبية بناءً على الأثر النفسي الذي تتركه، ويتولّى الشاعر التعبير عن كلّ ذلك؛ لكونه لسان حال عامة الناس.

ويتجلّى تفاعل الشاعر مع ما حوله من العناصر حين «يجلس ... على محور الأشياء ويتأمل في سر الكون، ويغذي عواطفه وعقله على مآثر الماضي العظيمة، وإذ يتقلّب مع الفصول الأربعة، يتنهد لمرور الزمن»[٥]، و(الزمن) من أكثر العناصر التي يتفاعل معها الشاعر عبر صورٍ مختلفةٍ، ويُعدُّ (الدهر) من أكثر أسماء الزمن حضورًا في الشعر العربيّ؛ إذ يستوقفنا الحضور اللافت للدهر في جميع الحقب الأدبيّة، وهو حضورٌ فاعلٌ يتجاوز دلالة الزمن البحت.

وحال الشاعر كحال غيره من البشر يعيش في ظرفٍ زمانيّ عرف بالزّمن أو بالدّهر ومرادفاتهما، إلّا أنّ تداخل المنظور بين الظرف الزمانيّ من ناحية، والأحداث والتفاعلات التي تحدث فيه من ناحية أخرى؛ جعله يعبّر عن تلك العلاقات بإسنادها إلى ظرفها، وبما أنّ أكثر العلاقات مع الزمن قائمةٌ على الضديّة والتنافر أو التوافق والتآلف فقد انعكس ذلك على الخطاب الشعريّ.

والمتمعّن في شعر (أبي مسلم البهلاني . ت ١٩٢٠م)[٦] تتجلّى له العلاقة المتشكلة بينه وبين الدّهر، وتتمثل تلك العلاقة في جانبين متضادين هما: علاقة التصالح، وعلاقة الصراع، وذلك على حسب إلحاق الشاعر الفاعليّة بالدّهر أو إسقاطها عنه، وإذا كانت علاقة (الصراع) هي العلاقة الغالبة عنده أو عند غيره من

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

الشعراء، فإنّ مرجعيّة أبي مسلم الدينيّة . في رأينا . قد أسهمت بشكلٍ أو بآخر في تشكّل العلاقة المضادة (علاقة التصالح)، لتكسر ما أحيطت به ثيمة الدّهر من فاعليّة سلبيّة؛ لتتشكّل في شعره تلك الفاعليّة الإيجابيّة في علاقته بثيمة الدهر.

المحور الأول: علاقة التصالح مع الدهر

لا شكّ في أنّ الزمن ليس فاعلًا للأحداث وإنّما هو وعاء تحدث تلك الأحداث في إطاره، وعلى الرغم من ذلك فإنّ توظيف ثيمة الدّهر في الشعر تغلب عليه «سيطرة حالة من التوتر بين الشاعر والدّهر، أما لحظات الهدوء والتعايش بينهما فيغلب أن ترد في سياقات خاصة تفرض مثل هذا التعايش»[٧]، وقد تجلّت لحظات الهدوء والتعايش بين (أبي مسلم) والدهر في مواضع كثيرة من شعره دلّت على علاقة تصالح بينه وبين الدّهر، وتجلّت هذه العلاقة عبر صورٍ ثلاثٍ: أولها صورة الزمن الصرف الذي لا يثير أي ردة فعل من الشاعر، وثانيها صورة الفاعل الإيجابي الباعث للرضا والسرور، وآخرها صورة الفاعل السلبيّ الباعث للصبر والتجلّد.

أ . صورة الزمن الصرف:

يُعدُّ الزمن الصرف صورةً من صور إسقاط الفاعليّة عن الدّهر، وعبّرت هذه الصورة عن علاقة التصالح بين (أبي مسلم البهلانيّ) والدّهر؛ إذ تتّخذ العلاقة في هذا الإطار مسارًا هادئًا ينأى عن أي توتر، ولهذا الضرب من توظيف الدهر حضورٌ بارزٌ في شعر (أبي مسلم)، ويظهر هذا التوظيف بصورةٍ واضحةٍ في قصائده الدينيّة ذات البعد الصوفيّ التي يصدح فيها بالدعاء والابتهالات والإيقان بحصول الأماني والآمال، كما في قوله:[الطويل]

وما ظَنَّ يَومًا أنْ يُخيَّب آمِلُ ببابِ كَرِيمٍ في غِناهُ حَمِيدِ

بِبَابكَ عَبْدُ السُّوءِ يَحْمِلُ إِصْرَهُ

يُغوِّثُ إِعْلانًا وتَعْـلَمُ سِرَّهُ

مُلِظٌّ بمَحْبوبِ الدُّعَا لَكَ دَهْرَهُ[8]

جاء الدّهر في هذه الأبيات دالاً على الزمنيّة الصرفة؛ إذ وظف الشاعر الظرفيّة الزمانيّة للفظ الدّهر وما عبّر عنه من امتداد غير متناهٍ، فهو زمنٌ يتلذذ الشاعر بديمومته في استمرار دعاء الله فيه والتضرّع إليه ورجائه، والغالب أنّه قصد بالدّهر مدة الحياة الدنيا التي يعيشها الشاعر، وعلى هذا فإنّ رؤية الشاعر إلى الدّهر لم تتخط الزمنيّة، ممّا لم يؤسس علاقة صراع، وإنّما أسس علاقة تصالحٍ بناءً على وعي الشاعر بالحدود الحقيقية للثيمة وتوظيفه المنطقي لها.

وبالدلالة ذاتها يورد أبو مسلم ثيمة الدّهر بصيغة الجمع (الدّهور) إذ يقول:[الكامل]

لا تَسْتَحِيلُ صِفاتُ خَالقِنا الـ قَدِيمِ، وَلا تُغيّرُهُ الدُّهُورُ المُرْدِفَهْ[9]

وعلى الرغم من سلطة الوزن والقافية على الشاعر في اختيار الكلمات؛ فإنّ توظيف (الدّهور) بالجمع جاء متناسبًا مع نفيه للتغيير؛ فالدّهور في تعاقبها من حيث هي أزمان متغيرة الأحوال، يقع تأثير تغيّرها على باقي الذوات؛ لهذا ينفي الشاعر أنْ يمسّ ذلك التغير الذات الإلهيّة «فالله عز وجل خارج عن الخضوع للزمان من كل الوجوه، من حيث هو امتداد، ومن حيث هو مخلوق، ومن حيث هو مغيِّر مفسد، ومن حيث زمنيته، ومن كل الوجوه التي يمكن تخيلها؛ لأنّ الخالق لا يخضع لقوانين مخلوقاته، ولما كان الزمان مخلوقًا لله وجب بذلك أن يخرج عنه من كل الاعتبارات»،[10] ولا شكّ في أنّ نفيَّ التغيير عن الدّهر هو نفيٌّ للفاعليّة، ونفيُّ الفاعليّة عن الدهر هو نفيٌّ للصراع، أمّا التصالح فيتأسس من وعي الشاعر، بالدلالة الزمنيّة للدّهر، فالزمنيّة الصرفة تحيل على اللاعلاقة بين الشاعر والدّهر، ولكن الوعي بدلالة الزمنيّة، وكون الدّهر مخلوقًا من مخلوقات الله هو المؤسس لعلاقة التصالح المفترضة.

ويوظف (أبو مسلم) ثيمة الدهر للدلالة على الظرفيّة الزمنيّة ذاتها في قصيدته (القلائد الدريّة في مدح خير البريّة) إذ يقول:[الطويل]

طَبيبي وَمَطلوبي وَطِبِّي وَطِيَبتي وَمُعْتَمَدي في الأَمْـرِ سَاكِن طِيبَةِ

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

ظَمِئتُ إلى ما بَينَ أَطْلالِ يَثرِبٍ فيا لَيتها كانَتْ مَدَى الدَّهْرِ ظَلّتِي[١١]

تتوق نفس الشاعر إلى طيبة مدينة رسول الله . صلّى الله عليه وسلم . ويرى فيها غاية سعادته ومطلبه ويتمنّى استمرار العيش فيها وديمومته، وهنا يتجلّى الارتباط الشديد بين المكان والزمان حين يصور شدة شوقه إلى طيبة بالظمأ الذي لن يرويه إلّا مكثه الدّهر كله بها، ولا شكّ في أنّه في هذا المقام متصالح مع الدّهر يتمنى استمراريّته ودوامه مادام مقيمًا بجوار المصطفى صلّى الله عليه وسلم.

ويبدو جليًّا أنّ الدّهر في شعر أبي مسلم حين يرد في صورة الزمن البحت لا يتعدّى كونه وعاءً للأحداث ويتجرّد تمامًا من الفاعليّة؛ لهذا لا تكون هناك ردّة فعلٍ من الشاعر تجاه الدهر؛ فتنشأ علاقة تصالح بين الشاعر والدهر.

ب . صورة الفاعل الإيجابي الباعث للرضا والسرور:

إنّ نفي الفاعليّة عن الزمن يحمل دلالةً واضحةً على وعي الشاعر بأنّ الزمن مخلوقٌ من مخلوقات الله ولا يضطلع بأي فعلٍ من الأفعال، ومن هنا تشكّلت علاقة التصالح الأولى بين أبي مسلم وثيمة الدّهر، أمّا علاقة التصالح الثانية بينه وبين الدّهر فقد تشكّلت من إثبات الفاعليّة للدّهر، إلّا أنّ هذه الفاعليّة التي يضطلع بها الدهر نالت رضا الشاعر وسروره من دهره، ومن ذلك قوله: [البسيط]

ما سَرَّني دَرْكُ مَجْدٍ لا تُقارِعني من دُونِهِ نَكَبَاتُ الدَّهر والغِيَلُ[١٢]

وإذا كان ذكره لـ (تقارعني، ونكبات الدّهر) يحيل على علاقة صراع قائمة بينه وبين الدّهر، فإنه يكسر هذه العلاقة، ويحل محلها علاقة تصالح؛ لأنّ هذه المقارعة والنكبات مستحبةٌ بالنسبة إليه، بل يلح على أن تكون مطاياه في إدراك المجد الباعث على الرضا والسرور، وتتجلّى علاقة التصالح في نفي السرور (ما سرني) بدون مواجهة الصعاب والأزمات التي فعلها الدهر، ورضا الشاعر بنكبات الدّهر إنّما جاء مصحوبًا بالتحدي؛ إذ لا يتحقق له السرور إلّا بعد مقارعة نكبات الدّهر، ولا شكّ أنّ نكبات الدّهر أقوى من احتمال الإنسان،

إلّا أنّ للشاعر همّةً تغلب تلك النكبات، فقد اتّخذ من رزايا الدهر سبلًا لتحقيق المجد وهذا ما يؤكّده قوله: [البسيط]

أرَى العُلى بخُطوبِ الدَّهر سَامِيَةً كأنَّ طَرْقَ الرَّزايا للعُلى سُبُلُ[١٣]

ولا يوجد كبير عناءً في إدراك تصالح الشاعر مع الدهر؛ إذ لا توجد أيّ إشارة في البيت السابق تدلّ على تذمّره من الدهر وخطوبه، بل نلمس اقتناع الشاعر بأنّ الدّهر لا يسمح بنيل المعالي إلّا بعد اجتياز الرزايا، ولا شكّ في أنّ هذا الوعي وهذا الاقتناع أنشأ علاقة تصالحٍ مع الدّهر، لكن التساؤل الذي يبقى قائمًا: أهذا الاقتناع منبعثٌ من صميم الشاعر، أم أنه عرضٌ نظريٌّ ضمنه قصيدته التي تدخل في باب الحكم والمواعظ، والغالب أنّ هذا التصالح الذي يكسر به شوكة صراع الدّهر إنّما هو نتاجٌ لخبرته الطويلة في الحياة، واتكاء على مرجعيته الدينيّة التي تضع القوة معيارًا للمفاضلة بين المؤمنين، فكما جاء في الحديث الشريف: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»[١٤].

وإذا كان الشاعر قد أصبغ علي تصالحه مع الدهر صبغة الرضا في النموذجين السابقين؛ فإنّه قد عبّر في نصوصٍ أخرى عن سرورٍ يفوق الرضا؛ إذ ترتفع درجة التصالح بين الشاعر وثيمة الدهر إلى أن يصبح الدّهر مطيعًا له إذ يقول:[الطويل]

حُظُوظًا يَقُومُ الدَّهْرُ فِيها بِخِدْمَتي ويَسْعَى بما لا يَشْتَهِيهِ حَسُودِي[١٥]

فقد صوّر الشاعر الدّهر خادمًا له بإتاحة الفرص ومؤاتاة الحظوظ، ولا شكّ في أنّها صورةٌ تعبّر عن موقفٍ إيجابيٍّ من الدّهر يدل على علاقة تصالحٍ بين الشاعر والثيمة إلى درجة أنّ الدّهر أصبح سندا يتكئ عليه الشاعر إذ يقول:[الرجز]

إنْ وَسِعَ الدَّهرُ احْتِمَالَ عَاجزٍ فهو سِلاحِي وتِلادِي المُجْتبَى[١٦]

ومن صور تصالح (أبي مسلم) مع الدّهر تفضيل أزمنةٍ على غيرها، وهذا التفضيل يعود إلى التكوين الإسلاميّ إذ يستحضر قول النبي ـ صلّى الله عليه وسلم ـ في الحديث الشريف «خيركم قرني، ثم الذين

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

يلونهم، ثم الذين يلونهم» [١٧] إذ يقول:[البسيط]

خَيرُ القرُونِ قَرِينُ المصطفى وَكَذا حُكْمُ القَرِينَيْنِ لا يَنفكُّ مِنْ أثَرِ [١٨]

وفي موضع آخر، يعقد أبو مسلم موازنة بين محاسن الدّهر ومحاسن ممدوحه حين يقول: [البسيط]

مَحَاسِنُ الدَّهرِ مِنْ إحسَانِهِ فَرَطٌ ومَا بَدَا فشعَاعُ الشمسِ في القمَرِ [١٩]

فعلى الرغم من أنّ أبا مسلم قد قلّل من محاسن الدّهر في مقابل محاسن ممدوحه فإنّ الإقرار بوجود محاسنَ للدّهر كفيلٌ بعقد علاقة تصالح بين طرفين.

ويبدو أنّ حوارًا متصوّرا دار بين الشاعر وبين الدهر يُظهر الودَّ بين طرفين إذ يسأل الشاعر الدهر عن فضائل الممدوح قائلًا:[البسيط]

أسَائِلُ الدَّهرَ عَنْ مَعنى فَضائِلِهِ فيُعْرِبُ الدَّهرُ مَعْنى غير مُنْحَصِرِ [٢٠]

وقد أعرب الدهر عن عددٍ غير منحصرٍ من فضائل الممدوح، وتتجلّى علاقة التصالح بين الشاعر وثيمة الدهر في ذلك الحوار المنسجم الذي دار بينهما، فالشاعر يسأل والدّهر يجيب بكلّ سلاسة، ولم يكتم شيئًا من فضائل الممدوح، فتشكّلت علاقة تصالح من خلال ما أثبته الدّهر وشهد به من فضائل ممدوح الشاعر.

ويمكن القول إنّ سرور الشاعر من الدّهر يرجع إلى أمرين: أولهما كون الدّهر فضاءً لأحداث خيّرة لا علاقة له بالفاعليّة، وثانيهما كون الدّهر فاعلاً إيجابيّا لأحداث خيّرة. ونتيجة لهذين الأمرين تكوّنت علاقة تصالح بين الشاعر وثيمة الدهر.

ج . صورة الفاعل السلبيّ الباعث للصبر والتجلّد.

وثالث صور علاقة التصالح بين (أبي مسلم) وثيمة الدهر، تمثّلت في صبره على الدّهر وصروفه، ويبدو أنّ الصبر كان نتاج تصوّر فاعليّةٍ سلبيةٍ بالدّهر، وهذا من شأنه أن يجعل العلاقة بين الشاعر والدهر علاقة صراعٍ لا علاقة تصالح، إلّا أنّ الصّبر الّذي عبّر عنه (أبو مسلم) في شعره يشير إلى توجه علاقته مع الدّهر نحو التصالح لا نحو الصراع، وفي هذه العلاقة تجلّى أثر التكوين الإسلاميّ، فقد دعا الإسلام إلى

الصبر وبشّر الصابرين بالثواب العظيم، ونجد هذه العلاقة حاضرة في شعر (أبي مسلم) ومن ذلك قوله:[البسيط]

والبسْ لِدَهْرِكَ إن لم تَزْكُ سيرَتُهُ من التَّجَمُّلِ ما تَزْكُو بِهِ الخِلَلُ[٢١]

وتتجلّى علاقة تصالح الشاعر مع الدّهر في دعوته الصريحة للتعايش معه، والصبر أمام صروفه، والتجمّل بالصفات الحسنة أمام حوادثه، فالشاعر يبدو متيقنًا من تقلّب حال الدهر؛ ولهذا يدعو إلى الصبر والتجمّل لضمان استمرار العيش في وسط تلك التقلّبات.

وينقل أبو مسلم الدعوة ذاتها على لسانه من جبريل إلى النبي . صلّى الله عليه وسلم . إذ يقول:[الطويل]

وقمْ وادْعُ واصْدَعْ بالذي جَاءَ في الوَرَى ولا تَبْتَئِسْ وَاصْبِرْ على كُلِّ نَكْبَةِ[٢٢]

وهذ يؤكّد على أنّ خطابات أبي مسلم الشعريّة قد تشكّلت على أساس مرجعيّة الإسلاميّة خالصة.

وعلى الرغم من سعي أبي مسلم البهلاني إلى عقد تصالحٍ مع الدّهر عن طريق الصبر والتجلّد فإنّ الدهر يبدو في بعض المواقف رافضًا للتصالح، ومتجهًا إلى صراعٍ؛ ولهذا يتساءل الشاعر متعجبًا من صنيع الدّهر إذ يقول:[البسيط]

ما لي وللدَّهرِ يُغري بي حَوادِثَهُ كأنَّ صَبْري على لأوَائِهِ زَلَلُ[٢٣]

فلم يعد الصبر مجديًا، ولا التجلّد نافعًا في مواجهة دهرٍ يغري حوادثه بالشاعر، ومع ذلك فإنّ الشاعر لم يدخل في علاقة صراعٍ مع الدهر مكتفيًا بإبداء اندهاشه من رفض الدهر إقامة علاقة تصالحٍ معه.

ومن خلال تتبّع صور علاقة تصالح الشاعر مع الدهر نستنتج أنّ تلك العلاقة تتشكل من انعدام ردة فعل الشاعر نحو الدّهر تارةً، ومن سروره من الدّهر تارة، ومن صبره على الدّهر ونوائبه تارة أخرى، وبما أنّ الشاعر يتحمّل أعباء الصبر فهذا يعني أنّه المبادر بتأسيس علاقة التصالح مع الدّهر.

المحور الثاني: علاقة الصراع مع الدهر.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

ولا شكّ في أنّ «قضيّة الزّمن قضيّة كلّ حيٍّ؛ إذ إنّها تتّصل بحياة الإنسان على الأرض، فهو يولد طفلاً، ثم يبلغ أَشُدَّهُ، فإذا امتدّ به العمر خطّ المشيب رأسه، ثمّ يصيبه الكبر ويصير شيخًا، وهو إن عمّر نكّسه الله في الأرض فلا يعلم بعد علمٍ شيئًا»[٢٤] وقد سعى (أبو مسلم البهلانيّ) إلى بناء علاقة تصالح مع الدهر؛ لوعيه بزمنيّة الدهر وانتفاء الفاعليّة عنه انطلاقًا من الفكر الدينيّ الذي ينتمي إليه، وعلى الرغم من ذلك فإنّ علاقة الصراع كادت تحجب علاقة التصالح بحضورها الطاغي في نصوصه الشعريّة.

وطغيان علاقة الصراع مع الدهر أمرٌ حتميّ؛ إذ إنّ علاقة الشاعر بالأشياء «تأخذ طابعا صراعيًّا، فهو لا يقبل بالممكن، وإنّما يبحث عن غير الممكن ليجعله ممكنا، ويبحث عن المستحيل ليجعله متاحا، ويصارع العدم ليخلق منه وجودا، ويصارع الفوضى ليكون منها انسجاما»[٢٥]، وهذا ما يفسر اتّساع حضور الصراع مع الدهر في شعر (أبي مسلم) مقارنة بحضور التصالح؛ إذ إنّ الطبيعة التفاعليّة متمكنة من ذات الشاعر فلا يستمر طويلاً في علاقة تصالح حتى ينتقل إلى علاقة صراع، فقد تكون علاقة التصالح عارضة تزول بزوال السبب؛ فالالتزام الشاعر بالصبر أدّى إلى التصالح، وعندما فقد صبره قامت علاقة الصراع مع الدهر، وهذا ما يؤكّده قوله: [البسيط]

فَقدتُ كِفْلَ اصْطبارٍ كانَ يكْفُلنُي في النّائبات، فخَانَ الآن مُكْتفلي[٢٦]

ويبدو جليًّا أنّ فقدان الصبر أدخل الشاعر في صراعٍ مع الدّهر؛ فالصبر كان سببًا للتصالح وبفقدانه تحوّلت علاقة الشاعر مع الدهر من التصالح إلى الصراع، وتجدر الإشارة إلى أنّ الصراع لا يعني بالضرورة علاقةً سلبيّةً، بل قد يدل على شكل من أشكال التفاعل الإيجابيّ بين الشاعر والدهر، وهذا ما يطلق عليه (الصراع الخلاق) «الذي يمد الحياة ويضمن لها الاستمرارية والتجدد، لا الصراع السلبيّ الذي يقوم على إلغاء أحد الحدود المتصارعة لضمان بقاء الآخر، فمثل هذا الأخير لا يدل إلا على الموت، والصراع الخلّاق لا ينبني على إلغاء أحد الحدود؛ بل على بقائها وبقاء تنازعها الذي يحمل نبض الحياة، ويؤدي إلى خلقٍ جديدٍ ينبع من انسجام الحدين المتصارعين؛ ففي مثل هذا الصراع توالد مستمر وخلق جديد دائم»[٢٧]، وصراع (أبي

مسلم البهلانيّ) مع الدهر لا يتغّيا القضاء عليه، وإنّما هو صراعٌ خلّاقٌ يكشف عن تنوّع الأساليب التي يسلكها الشاعر في التفاعل مع الدّهر ونوائبه، ففقدان (أبي مسلم) للصبر ما هو إلّا تمهيدٌ لاتّباع مسالك أخرى في صراعه مع الدّهر.

وعلى الرغم من كون الصراع صراعًا خلّاقًا من باب عدم إلغائه للحدود المتصارعة، فإنّه ينطلق من إلحاق الفاعليّة السلبيّة بالدّهر، وفي هذا تجاوزٌ على الدلالة الحقيقيّة المتمثّلة في الزمنيّة، وتجاوز الحقيقة لا يكون إلّا بتعبيرات مجازيّة؛ يحاول الشاعر من خلالها إبراز صراعه مع الدهر، وتتشكّل علاقة الصراع بين (أبي مسلم البهلانيّ) والدّهر في صورٍ ثلاث: أولها الوصف السلبيّ، وثانيها الشكوى، وآخرها المواجهة.

الوصف السلبيّ للدهر.

إنّ الصور التي يرسمها الشعراء لعلاقة الصراع بينهم وبين والدّهر تتشكّل بسبب مشاعر خاصةٍ نتجت عن صراع نفسيّ، وتظل هذه المشاعر مبهمةً حتى تتبلور على شكل صورةٍ في الذهن؛ فتخرج في منتجٍ أدبيٍّ إبداعيّ؛ إذ إنّ «الشعور يظل مبهمًا في نفس الشاعر فلا يتضح له إلّا بعد أن يتشكل في صورة، ولا بد أن يكون للشعراء قدرة فائقة على التصور تجعلهم قادرين على استكناه مشاعرهم واستجلائها»[٢٨]، ولا شكّ في أنّ الصورة التي يرسمها المبدع لا تبقى على حالها عندما تنتقل إلى المتلقي؛ إذ إن المتلقي يتفاعل مع الصورة ويعيد تشكيلها وقد تأخذ أبعادًا متنوّعة على حسب اختلاف توجهات المتلقين وتنوّع مشاربهم.

وبما أنّ الدهر قد اتّخذ صورة الفاعل السلبيّ في ذهن (أبي مسلم) فقد تنوّعت أوصافه السلبيّة في إنتاجه الشعريّ؛ فهو ظالمٌ، وخائنٌ، ومفرقٌ؛ ولهذا نشأت بينه وبين الدهر علاقة صراعٍ تختلف حدّته على حسب اختلاف درجات الفاعليّة السلبيّة التي ترتسم في ذهن الشاعر.

أ)الدّهر الظالم:

نشأت صورة الدّهر الظالم في ذهن الشاعر نتيجة إلحاق الفاعليّة السلبيّة به، فوصف الدهر بأنّه ظالم إنّما تشكّل بسبب الاعتقاد بأنّ الدّهر فاعلٌ سلبيّ يسعى إلى مواجهة الناس وإلحاق الضرر بهم، وقد وصف (أبو

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

مسلم) الدّهر بالظلم في مواضع من شعره منها قوله في نونيته:[البسيط]

حَتَّامَ يا دَهْرُ لا تُبْقِي على بَشَرٍ حُـرٍّ، وَحَتَّامَ ضَيْمُ الحُرِّ إِحْسَانُ[٢٩]

يسائل (أبو مسلم) الدّهر في صورة استعاريّة مكنيّة عن قضيتين اثنتين: أولهما وقت انتهاء فتكه بالبشر، وآخرهما وقت انتهاء ظلمه للأحرار، وفي هذا الخطاب نسب الشاعر الفاعليّة إلى الدهر، فنسب إليه عدم الإبقاء على البشر من ناحية، وضيم الأحرار من ناحية أخرى، ووظّف في الأولى الفعل الماضي المنفي (لا تبقي)، وفي الأخرى وظّف المصدر (الضيم)، وقد يبدو ظاهريًا أنّه لم ينسب إليه فعل الضيم؛ إلّا أنّ توجيه السؤال إليه عن وقت انتهاء هذا الضيم يؤكد يقين الشاعر بأنّ الضيم قد حدث وأنّ الدهر هو فاعله؛ لهذا يسأله عن نهايته، وقد تحقق الصراع بين الشاعر والدهر في البيت من خلال أسئلة الشاعر للدّهر؛ إذ تدل على الحاح الشاعر على الدهر من ناحية، وعدم الركون والتسليم والاستسلام من ناحية أخرى.

وينتقل (أبو مسلم) في القصيدة ذاتها من نسبة الظلم إلى الدهر عن طريق المصدر (ضيم) إلى إثباته عن طريق اسم الفاعل، بحيث تصبح نسبة الظلم إلى الدّهر مباشرة بشكل جليٍّ إذ يقول: [البسيط]

يا دَهْرُ يا بَاخِسَ الأَحْرَارِ حَقَّهَمُ أَعْطِ العَدَالَةَ، إنَّ اللهَ دَيَّانُ[٣٠]

يلحق الشاعر الفاعليّة السلبيّة بالدهر عن طريق الصورة الاستعارية المكنيّة، فالدّهر باخس حق الأحرار، وهنا لفتة تعبيريّة تتجلّى في المسكوت عنه؛ فبما أنّ الدهر قد بخس الأحرار حقهم فهذا يعني أنّه أعطى غيرهم فوق قدرهم؛ لأن الضدّ يُعرف بضده، وهنا مكمن مرارة الظلم، ويبدو أنّ الشاعر في صراعه هذا مع الدهر لا يملك القدرة على مواجهة ظلمه؛ فيكتفي بتوجيه النصح والإرشاد بتوظيف فعل الأمر (أعطِ العدالة) وتذكيره بالله سبحانه وتعالى مؤكّدًا له (أنّ الله ديان)، فنتجت عن هذا الصراع ردود أفعال من الشاعر اتجاه الفاعليّة السلبيّة للدّهر وإنْ لم تصل حدّتها إلى درجة المواجهة.

ويقف الدهر حائلاً بين الشاعر وبين تحقيق آماله، وهذا الشكل من أشكال ظلم الدّهر يتجلّى في قول أبي مسلم: [الطويل]

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

وإنّي ولِبْسُ الدَّهْرِ جِلدَةَ أجْرَبٍ تِجَاهِي وآمَالِي مُحَالٌ مَحَارِمُ[٣١]

يلبس الدّهر جلدة أجربٍ للشاعر في صورةٍ استعارية مكنية تشير ضمنيًا إلى أنّ الدّهر يقصد الشاعر وينتقيه دون غيره من البشر؛ ليحول بينه وبين بلوغ آماله، ولا شكّ في أنّ بشاعة الظلم تكون أكبر حين تجتمع القصديّة والانتقائيّة معًا.

ويستمر الصراع بين الشاعر والدّهر؛ نتيجة تصوّرٍ راسخٍ في ذهنه بأنّ الدهر يستهدفه ويتفنّن في ظلمه، فيواصل منعه عن بلوغ المعالي، وفي ذلك يقول:[الطويل]

إلى كَمْ يَلِزُّ الـدَّهْرُ نَفسِي بَليـَّةً ويَقْطَعُنِي عَمَّـا تُرِيدُ الـعَظَائِمُ[٣٢]

ويستعين الدهر بسوقة البشر وأراذلهم؛ لإيذاء الشاعر فيلتف عليه هؤلاء كالسماسم[٣٣]، وهذا ما يؤكّده قوله: [الطويل]

يَلُمُّ عَلَيَّ الدَّهْرُ أعراق سُوقِهِ سِفَاهًا كما الْتَفَّتْ عَلَيَّ السَّمَاسِمُ[٣٤]

ويبدو جليًّا أنّ (أبا مسلم) لا يلتفت في صراعه مع الدهر إلى الدلالة الزمنيّة الصرفة التي يحملها الدهر، بل يكرّس الفاعليّة من خلال إظهاره في صورة الفاعل السلبيّ.

- الدّهر الخائن:

إلحاق أبي مسلم فعل الخيانة بالدهر أدّى إلى تشكّل صورةٍ من صور الصراع بينه وبين الدهر؛ إذ إنّ للدهر طبيعةً متناقضةً تتمثّل في الوفاء والغدر، ولا شكّ في أنّ الشاعر يتصالح معه في حال الوفاء، ويتصارع معه في حالة الغدر وفي كلا الحالتين يبقى حذرًا لا يأمن له، فمن تطبّع بالغدر لن يستمر في الوفاء، وفي ذلك يقول:[البسيط]

لا آمَنُ الدَّهرَ في لِينٍ وفي شَعَثٍ وطبْعُهُ للوفا والغَدْرِ مُحْتَمَلُ[٣٥]

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

هكذا تتجلّى صورة الدهر الخائن في ذهن أبي مسلم فهو صاحبٌ غير مؤتمن لكثرة تقلبه من ناحية، ولتأصّل الخيانة في طبعه من ناحية أخرى، ومن هنا نشأت علاقة الصراع؛ فالدهر يتربّص بالشاعر ويغدر به، والشاعر يتحرّى الحذر من غدره.

إنّ انعدام ثقة أبي مسلم بالدهر جعلت صورته تتطوّر في ذهنه من صورة المتقلب بين الوفاء والغدر إلى صورة الدهر الخؤون المجبول بطبعه على الخيانة؛ فيحتدم الصراع بين الطرفين، وهذا ما يظهر جليّا في قوله:[الرجز]

جِبِلَّةُ الدَّهْرِ خَؤُونٌ حُوَّلٌ ما رَاشَ في عَافيةٍ إلّا بَرَى[٣٦]

ويصل الشاعر في صراعه مع الدهر إلى التسليم بغدره وخيانته بل يؤكّد هذه الصفة فيه، ويبالغ في وصفه بها (كيسان . غدّار) إذ يقول:[البسيط]

وَصُنْ بَقِيَّةَ هذا العُمْرِ في كَيَسٍ فإنَّ دَهْرَكَ – لو فَكَّرْتَ – كَيْسَانُ[٣٧]

ولقد كان لاغتراب الشاعر عن وطنه (عُمان) وإقامته إلى وفاته في (زنجبار) أثرٌ كبيرٌ في الصراع مع الدهر، إذ أسقط عليه أسباب الغربة عن الوطن ومن ذلك قوله:[الطويل]

لئِنْ خَانَنِي دَهْرِي بِشَحْطِ مَعَاهِدِي فَقلبي بِرَغْمِ الشَّحْطِ فِيهِنَّ هَائِمُ[٣٨]

فالغربة عن الأوطان والبعد عن الديار صورةٌ من صور خيانة الدّهر كما يصوّرها (أبو مسلم)، فالدهر في نظر الشاعر ليس ظرفًا للفعل، بل هو فاعلٌ يضطلع بفاعليّة سلبيّةٍ ضد الشاعر، مما استوجب صراعًا نفسيًّا تمثل في ردة فعل الشاعر، فعلى الرغم من إبعاد الدهر له عن معاهده ظل هائمًا بتلك المعاهد، وهكذا تجلّى الصراع من خلال الفعل ورد الفعل.

ونجد أن أبا مسلم يقف . أحيانًا . في صراعه مع الدهر موقف الصامد الذي يبادر بالمواجهة، فيتخذ السيف صاحبًا وفيًا ضد ذلك الدهر الخائن؛ إذ يقول:[الرجز]

والسَّيفُ أَوْفى صَاحِبٍ رَافَقْتَهُ إنْ خَانَكَ الدَّهْرُ وَأَهْلوهُ وَفَى[٣٩]

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

ولا شكّ في أنّ اصطحاب السيف في هذا المقام لا يكون للوجاهة بل لمواجهة، وهنا تتجلّى قوة الشاعر في التصدي للدهر؛ ليبلغ الصراع أوجه؛ نتيجة إلحاق الفاعليّة السلبيّة بالدهر، وارتسام تلك الصورة في ذهن الشاعر لحظة الإبداع.

- الدّهر المفرّق:

ومن الأوصاف السلبيّة الي وصف بها أبو مسلم الدهر أنّه مفرّق، و"الإنسان مدنيّ بالطبع أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنيّة"[٤٠] لهذا لا يحب الفراق، وعلى الرغم من أنّ الفراق أمرٌ حتميّ؛ خاصةً عندما يكون بسبب الموت فإنّ الإنسان يُسقط سببه على الدهر، فالدهر يجمع ويفرّق، ويكون في الأولى فاعلٌ إيجابيّ، وفي الأخرى فاعلٌ سلبيّ، وهنا تتشكّل علاقة الصراع مع الدهر، ويكثر وصف الدهر بالمفرّق في شعر أبي مسلم خاصة في قصائد الرثاء، ومن ذلك قوله في رثاء الفقيه الجزائريّ (محمد بن يوسف أطفيش ت. ١٩١٤م)[٤١]:[الطويل]

حَنتْنِي عَوادي الدهر غمّاً بفقدِهِم على شَرَعَاتٍ فَتْلُهُنَّ شَدِيدُ[٤٢]

فعوادي الدهر فاعلٌ سلبيّ حنت الشاعر وأصابته بالغم والحزن؛ إذ أفقدته أحبابه، وهنا يتشكّل ذلك الصراع النفسيّ بين كره الفقد والفراق من ناحية وحتمية الموت من ناحية أخرى؛ فلا يملك الشاعر في حضرة الموت إلّا التسليم فهو يعلم أنه قضاء الله وقدره، وأنّ الوجود يقتضي النفاد إذ يقول:[الطويل]

ألا كُلُّ حَيٍّ في يَدِ المَوتِ حاصِلٌ فماذا بكاءُ الفاقدِين يُفيدُ

وما نَدبَ الأعْمارَ مِثلُ حُدودِها لأنَّ نفاداً يَقتضِيهِ وُجُودُ[٤٣]

يدرك الشاعر أنّ الله خالق البشر، وهو الذي يميتهم ثم يبعثهم؛ فالموت واقع بأمره، وأنّ الدّهر مخلوق لا يضطلع بأيّ فاعليّة في حضرة الموت؛ إلّا أنّ وقوع الموت في زمنٍ معينٍ؛ يجعل الإنسان يهرع إلى إلقاء الحوادث ورميها على الزمن في شكل من أشكال التنفيس عن قهر الفقد، وحتى إن لم يُلحق الشاعر الموت بالدّهر فإنّ الدّهر «يتصل ... في ذهن الإنسان العربي اتصالاً وثيقًا بالموت؛ إذ يرى فيه معيار عمره

وعيشه في الحياة، وما العمر لديه إلّا أزمان متتالية، يبقى الإنسان ببقائها وينتهي بانتهائها»[٤٤] ولأنّ الموت هو عنوان تلك النهاية يظل الإنسان يجزع من مرور الوقت المؤدي إلى وقوعها لا محالة، ففي الرثاء لم يكن الشاعر «يرثي شخصا بعينه أو ذاته، بل كان يرثي الحياة الإنسانية نفسها. إنه الفقد الشامل، والجزع المقيم، والإحساس أنّ الحياة عبث ولهو وباطل وقبض ريح»[٤٥]، وعلى الرغم من إلحاق أبي مسلم فعل التفريق بالدهر؛ فإنّه يعود إلى التسليم والإقرار بحتميّة الفناء.

ولا شكّ في أنّ ردة فعل الشاعر من الدهر المفرّق تختلف باختلاف نوع التفرقة، ففي حضرة الموت لا يملك إلّا التسليم وإنْ أظهر امتعاضًا وصراعًا نفسيًا، أما التفرقة بين الأحياء فقد تستوجب ردة فعلٍ مختلفة فحين فرق الدهر بينه وبين ممدوحه كانت ردة فعله كره الدهر إذ يقول:[الطويل]

وَإِنِّي لِدَهْرٍ صَدَّنِي عَنْكَ شَانِئٌ وحَتَّى مَتَى مِنْ صَرْفِهِ أنا وَاجَمُ[٤٦]

فقد تمثلت الفاعليّة السلبيّة للدهر في صدّ الشاعر عن الممدوح، وهذا الفعل استوجب ردة فعل من الشاعر تمثلت في الكره كردة فعل أوليّة؛ إلّا أنّها تطورت إلى صراع أكبر تمثّل في الاستفهام (حَتَّى مَتَى مِنْ صَرْفِهِ أنا وَاجَمُ) إذ يستنكر الشاعر استمرار سكوته على غيظ أمام صروف الدهر، وكأنّه بذلك يقرّ بمشروعيّة ردة فعلٍ أكبر، وضرورة الدخول في مواجهةٍ مع الدهر.

المحور الثالث: تحولات الصراع من الشكوى إلى المواجهة.

تختلف درجة صراع أبي مسلم مع الدهر باختلاف ردّة فعله، ففي حالات الضعف والتسليم يكتفي بالشكوى دون أن يتجاوزها، وفي حالات القوة والتماسك يتجاوز الشكوى إلى المواجهة مع الدهر، ويبقى التساؤل قائمًا عن هذين النمطين من أنماط الصراع: أيهما أكثر، الشكوى أم المواجهة؟ ولا بدّ للإجابة عن هذا السؤال من الوقوف على النصوص أبي مسلم الشعريّة واستنطاقها وسبر أغوارها.

أولا . الشكوى من الدهر:

اقتضت نسبة الفاعليّة إلى الدهر تحميله مسؤوليّة تلك الأفعال؛ فيعبر الشاعر عن الرضا من الأفعال

الإيجابيّة، وعن عدم الرضا من الأفعال السلبيّة، والتعبير عن عدم الرضا قد يكون بالشكوى وقد يكون بالمواجهة حسب اختلاف درجات ردّات الأفعال، وتكون الشكوى مباشرة أحيانًا، وغير مباشرة أحيانًا أخرى، وذلك بتوظيف تقنيتي: التصريح تارة والتلميح تارة أخرى، ولجوء الشاعر إلى التلميح قد تقتضيه ظروفٌ معيّنة كالخوف، وحفظ الكرامة، فبدل أن تكون الشكوى من الفاعلين السلبيّين الحقيقيّين يتم إسقاطها على الدهر الذي نُسبت إليه الفاعليّة مجازًا.

وحين يُلحق الشاعر الفاعليّة بالدهر ويشكو منه؛ فلأنّه يمثل في نظره «القوة الخارقة التي لا تمكن مقاومتها: تأخذ كل شيء وتغير كل شيء»(٤٧)، وغالبا ما يتخذ الشاعر شكواه من الدهر «وسيلة للتنفيس عن معاناته في الحياة»(٤٨) وسواء أكانت الشكوى حقيقيّة أم تنفيسًا؛ فإنّ المشكوَّ منه ظاهريًّا في الحالين هو الدّهر، وتتجه الشكوى في شعر أبي مسلم إلى ثلاث ذوات: أولها الذات الإلهية، وثانها ذات النبي صلّى الله عليه وسلم، وآخرها ذوات الأولياء الصالحين.

- شكوى الدّهر إلى الله عز وجل:

يقتضي الدين الإسلاميّ أن يتوجه المسلم بشكواه إلى الله عزّ وجلّ، فبيده تفريج الكُرب ورفع الضرر، ولهذا لا يمتلك المسلم إلّا التسليم بالقضاء والقدر، وهذا يظهر جليًا في الشعر الإسلاميّ ف «الشاعر الجاهلي كان يسند مصيبته إلى الدّهر متذمرًا ساخطًا بالقضاء والقدر، بينما الشاعر الإسلامي يعود إلى الله شاكيًا إليه مصابًا، ومؤمنًا بقضائه طالبًا منه العون على النوائب»(٤٩)، وبالنظر في شعر أبي مسلم فإنّ أغلب شكواه كانت ذات باعثٍ دينيٍّ بالدرجة الأولى، ومن ذلك ما جاء في قصيدة (الرحمن جلّ جلاله) إذ يقول: [الطويل]

إلَـهي افْتِقـارِي لازِمٌ لـحَقيقتي إلـى رَحْمَـةِ الرحمنِ في كـُلِّ لَحْظـةِ
إلى نظرةِ الرحمنِ تَحتَ جَمَالِـهِ أبُثُّ اضْطِرارًا طَـارِقاتِي وشِقْـوَتي(٥٠)

يبدو (أبو مسلم) في البيتين السابقين متضرعًا لله، مضمنًا خطابه شكواه ممّا يضيق به من الدهر، من خلال لفظتي: (طارقاتي، وشقوتي) ولا شكّ في أنّ لهما صلة مباشرة بالدهر.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

وعلى الرغم من الحضور الواسع للشكوى ذات الباعث الدينيّ في خطاب أبي مسلم الشعريّ فإنّ لشكواه من هموم دنياه نصيبًا من الحضور في مواضع متعدّدة من شعره منها قوله:[الطويل]

إلى المَلِكِ الكَافِي أبُثّ شِكَايَتي لأكْفى هُمُوم الدِّينِ والدُّنْيَوِيَةِ[٥١]

يبث الشاعر شكواه إلى الله بلفظ صريح في قوله: (أبث شكايتي)، وكانت شكواه من الهموم التي تجلبها نوائب الدهر؛ وهي . كما يصرّح الشاعر . على نوعين: هموم دينيّة، وهمومٌ دنيويّة، وتظهر أولوية الدين عند الشاعر من خلال تقديمه ذكر هموم دينه على هموم دنياه، متخيّرًا في شكواه اسمين من أسماء الله الحسنى هما: الملك، والكافي، ليناسبا السياق الذي وردا فيه؛ فالله سبحانه وتعالى هو (الملك) إذ بيده ملك كل شيء، وهو (الكافي)؛ إذ يكفي عبده كل ما يفوض فيه أمره إليه.

ومن الخطابات الشعريّة التي تتجلّى فيها شكواه من الضُّر والبلا قوله:[الطويل]

سَمِيعَ الدُّعَا اسْمَعْ دَعْوَتِي وشِكَايَتي ويـا كَافِيَ الهَمِّ اكْفِنِي الضُّـرَّ والبَلا

دَعَوتُ دُعَـاءَ المُسْتجِيرِ وأنْت يَا قَرِيبُ تَرَى مَا مَسَّ جَنْبي فأعْضَلا[٥٢]

ينادي الشاعر ربه (سميع الدعاء) بأداة نداء مقدّرة، وفي حذفها دلالة على القرب المعنويّ من الله، متخيرًا من أسماء الله الحسنى (السميع) مضيفًا إليه الدعاء ليتسق مع الإنشاء الطلبيّ بفعل الأمر (اسمع) بغرض الدعاء، ويعطف نداءه الأول بنداء آخر (يا كافي الهم) بذكر الأداة (الياء) بكل ما تحمله من امتدادٍ صوتيٍّ تدل على بُعد منزلة المنادى من المنادي، متخيّرا من أسماء الله الحسنى (الكافي) ليتسق مع الإنشاء الطلبيّ بفعل الأمر (اكفني) بغرض الدعاء، ليؤكّد في البيت الثاني أنّ دعاءه دعاء مستجير، وأنّ كلّ مستجير يلجأ إلى الأقرب، لهذا اختار أبو مسلم في هذا السياق (القريب) من أسماء الله الحسنى ليناسب مقام التضرّع والدعاء.

وتكشف النماذج السابقة أنّ الشكوى التي يوجهها أبو مسلم إلى الله عزّ وجلّ تكون من النوائب، ومن طارقات الدهر، ومن الضرّ والبلاء، وكلّها مرتبطةٌ ارتباطًا وثيقًا بثيمة الدهر، ولا شكّ في أنّ شكوى الشاعر إلى الله

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

تمثّل لجوء الأضعف إلى الأقوى ليحتمي به في صراعه مع الدهر.

- شكوى الدّهر إلى النبي صلى الله عليه وسلم:

إنّ توجيه أبي مسلم شكواه من الدّهر إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم . لا تعني الاعتقاد بأنّ النفع والضرر بيد الرسول . صلى الله عليه وسلم . وإنّما يتوسل به لعظيم منزلته عند الله، ولا يتوسل الإنسان إلّا بمن يحبّ من رفيعي المنزلة عند الله، يؤكد هذا قوله:[البسيط]

يا أَوَّلَ الكُلِّ بَعْدَ اللهِ مُبْتَدعاً وأَوَّلَ الكُلِّ عِندَ اللهِ في الخَطَرِ [٥٣]

يعي الشاعر كلّ الوعي أنّ النبي . صلى الله عليه وسلم . أول الكل بعد الله تعالى، وأول الكل عند الله تعالى؛ فالشكوى إلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ليست كالشكوى إلى الله عز وجل؛ لأنّ الله بيده النفع والضرُّ، يقلّب الأمور كيفما يشاء، والشكوى في البيت السابق لا تتعلق بثيمة الدّهر؛ وإنّما تعلقت بثيمة فرعيّة هي ثيمة النوائب من خلال لفظ (الخطر) وشكوى الحال إلى الرسول الكريم لا تعدو أن تكون طلبًا للشفاعة، وهذا أمر يملكه رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ، وقد تكون الشكوى تنفيسًا عن الضيق من خلال مخاطبة أحب خلق الله إليه، ومما يدل على هذا قوله: [البسيط]

يا مَنْ بِهِ سَلوَتي في كُلِّ وَاقِعَةٍ عَنْ كُلِّ كَائِنةٍ في الوِرْدِ والصَّدَرِ [٥٤]

والشكوى في البيت مرتبطة بثيمة النوائب من خلال لفظ من حقلها الدلالي (واقعة)، ويوظف (أبو مسلم) لفظًا آخر من ألفاظ الحقل الدلاليّ لثيمة النوائب هو لفظ (الخطر) في قوله:[البسيط]

غَوْثَ الوُجُودِ أَغِثْنِي ضَاقَ مُصْطَبَرِي سِرَّ الوُجُودِ اسْتلِمنِي مِن يَدِ الخَطَرِ [٥٥]

عندما يضيق الصبر وينفد من الشاعر تبدأ علاقة التصالح مع الدهر في التلاشي؛ لتبدأ علاقة الصراع، فيستغيث الشاعر استغاثة صريحة برسول الله . صلى الله عليه وسلم . في قول الشاعر (أغثني) وما يثبت تحوّل العلاقة من التصالح إلى الصراع تعزيز الشاعر طلب الغوث بطلب الاستلام من يد الخطر.

وقد يسلك (أبو مسلم) في خطاباته الشعريّة مسلك شعراء التصوّف والمديح النبويّ في توجيه شكواه من الدّهر

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

إلى الرسول . ص . ومن ذلك قوله: [البسيط]

عَينَ الوُجُودِ تَرَى بُؤسِي وَنَازِلَتي وَفِي مَحَالِكَ إِنقاذِي مِنَ الضَّرَرِ[٥٦]

وقوله كذلك:[البسيط]

وجَّهتُ نَحْوَ رَسُولِ اللهِ نَازِلَتِي وَقُلْتُ يا نَفْسُ حُمَّ النَّصْرُ فانْتظِرِي[٥٧]

يوجه (أبو مسلم) شكواه من الدهر إلى الرسول، موقنًا بالإجابة، حاثًا نفسه على انتظار النصر، وقد وظف لفظتين من الحقل الدلاليّ للنوائب هما: البؤس، والنازلة، ولا شكّ في أنّهما يرتبطان ارتباطًا وثيقًا بثيمة الدّهر، ولا يلبث أن يكشف عن تعلق شكواه بالدّهر عينه، حين يذكره ذكرًا صريحًا في القصيدة ذاتها إذ يقول:[البسيط]

وَلَسْتُ أَعْذُرُ هذا الدَّهْرَ في شَظَفٍ ما دَامَ فَضْلُكَ عِندِي غَيْر مُعْتذِرِ

ولا أزِيـدُكَ بالأيـامِ تَبْصِـرَةً لَأَنْتَ أَبْصَرُ بالدُّنْيا مِنَ البَصَرِ[٥٨]

يشكو الشاعر الدّهر إلى الرسول . صلّى الله عليه وسلم . شكوى مباشرة ولا يعذر دهره فيما تسبب به من شظف العيش، ويشكو الأيام شكوى غير مباشرة؛ إذ يقول (ولا أزيدك بالأيام تبصرة)، ولم يسترسل في عد نوائب الدّهر، معولاً على بصيرة النبي . صلّى الله عليه وسلم . لأنّه (أَبْصَرُ بالدُّنْيا مِنَ البَصَرِ).

ويصل (أبو مسلم) إلى الإيقان بمقدرة الرسول . صلّى الله عليه وسلم . على إزالة أسباب الشكوى؛ إذ يقول: [الطويل]

إِلَيْكَ رَسُولَ اللهِ بَثّ شِكَايَتِي وَأَنْتَ عَلَى دَفْعِ الشَّكَاةِ قَدِيرُ[٥٩]

وبالرجوع إلى السياق الذي ورد فيه هذا البيت، يظهر أنّ مجال الشكوى دينيٌّ لا دنيويٌّ؛ إذ يتعلّق بخطأ وزلة وذنب؛ ولذلك يتوجه إلى النبي . صلى الله عليه وسلم . شاكيًا معترفًا بذنبه وتقصيره، ودفع الشّكاة هنا يتحقق بنيل الشفاعة، وهذا مما يقدر عليه النبي . صلى الله عليه وسلم . بما أكرمه الله به من تشفيعه في أمّته.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

هكذا يظهر جليًّا أنّ الشكوى من الدهر غالبًا ما تكون تنفيسًا عمّا تضيق به نفس الشاعر؛ إذ إنّ «شكوى الشعراء من الدّهر إلى مرادفاته: كالزمان، وأجزائه: من ليل ونهار حيث تثقلهم الهموم فيشعروا أنّ الزمن قوة قهر، وتسلط فينفثوا ما في صدورهم، وتتساق ألفاظهم على الزمن، والليل، والنهار، وما أحدث لهم من الرزايا والهموم»[٦٠] وترتبط الشكوى التي وجهها (أبو مسلم) إلى الرسول . صلى الله عليه وسلم . بثيمات ثلاث هي: ثيمة الدّهر، وثيمة النوائب، وكذلك ثيمة الدين، وقد يرد لفظ الدهر في الشكوى صريحا، وقد ترد ألفاظ تندرج ضمن حقله الدلاليّ.

. شكوى الدّهر إلى أولياء الله:

يندر في شعر (أبي مسلم البهلانيّ) توجيه شكواه من الدهر إلى أولياء لله، وما جاء في مراثيه من شكوى يكون . غالبًا . موجهًا إلى الله لا إلى الأولياء، ومع هذا فإنّ هذا النوع من الشكوى لا يعدم في شعره ومن ذلك قوله في رثاء (محمد بن يوسف أطفيش) شاكيًا إليه الدّهر في قوله:[البسيط]

نشكُو إليكَ، وَلِيَّ اللهِ، وَحْدَتَنا وعَيشَنا بَينَ غِلِّ الدَّهرِ والكَبَلِ[٦١]

تبدو الشكوى من الدهر موجهة إلى ولي الله (محمد بن يوسف أطفيش) مباشرةً؛ إلّا أنّ لجوء الشاعر إلى الولي، وبث الشكوى إليه لا يعدو أنْ يكون تنفيسًا للصدور من الضيق الذي أصابها؛ إذ لا يتصوّر أنْ يكون هذا الولي ولا غيره من الأولياء قادرين على تفريج ما يعانيه الشاعر من دهره، ولا يمكن أنْ يعتقد الشاعر بنفع الأولياء؛ إذ إنّ هذا الاعتقاد يخالف عقيدة الشاعر؛ ولهذا تظلّ الشكوى إلى الأولياء في دائرة التنفيس ولا تتعداها إلى دائرة الاعتقاد بحصول النفع من الوليّ.

ثانيًا . مواجهة الدهر:

إذا اقتصرت ردّة فعل (أبي مسلم) في صراعه مع الدهر على الشكوى في حالات الضعف والتسليم؛ فإنّ ردة فعله في حالات القوة التماسك تصل إلى المواجهة مع الدهر، وتتشكّل المواجهة نتيجة للتحدّي، وعلى الرّغم من صعوبة قرار التحدي والمواجهة، فقد يحقق حضور الذات والشعور بعزّة النفس، وتمثّل المواجهة ذروة

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

صراع الإنسان مع الدهر، وقد تجلّت في النّصوص الأدبيّة شعرًا ونثرًا، وكشفت عن تلك العلاقة المتوتّرة بين المبدع والدهر.

واتخذت خطابات مواجهة (أبي مسلم) للدهر صورتين اثنتين: أولهما كان الشاعر هو المواجه المباشر للدّهر، وآخرهما كان فيه المواجه طرف آخر(*) فـ «لأهمية الدّهر لدى الإنسان العربيّ، ولما له من أثر كبير في مجرى حياته، شخّصه الشعراء، وبثوا فيه الروح والحركة، وجعلوه كائنا حيًّا، غير أنهم لم يصوروا منه غير أفعاله وصفاته، وهي أشبه ما تكون بأفعال الإنسان وصفاته، فهو يتصف بالمكر والخداع، كما يتصف بمقدرة فائقة على القتال، تجعله يسدد السهام الصائبة، ويطعن الطعنات النافذة، وقد حذروا الناس منه، وطلبوا إليهم أن يكونوا منتبهين لصولاته فيهم وجولاته»[٦٢]، ومن المواضع التي أعلن فيها (أبو مسلم) مواجهته المباشرة للدهر، قوله:[البسيط]

صَارَفْتُ صَرْفَ زمانِي بالتي حَسُنَتْ في أعْيُنِ المَجْدِ واهتزَّتْ لها الفُضلُ[٦٣]

لم يلجأ (أبو مسلم) في صراعه مع الدهر في البيت إلى الشكوى بل أقدم على المواجه الفعليّة لصرف الزمان، إلّا أنّ هذه المواجهة بقيت (بالتي حسنت) والسبب في ذلك قد يعود إلى تفضيل الابتعاد عن المجازفة في دخول مواجهات شرسة غالبًا ما تكون خاسرة، وقد يعود السبب إلى تمجيد الذات ليظهر الشاعر نفسه في صورة الحليم الذي يقابل الإساءة بالصفح، وأيًّا كان السبب فإن المواجهة تبقى قائمةً بين الشاعر وصروف زمانه.

ويتجلّى في شعر (أبي مسلم) شكلٌ من أشكال المواجهة يتكئ فيه على مرجعيته الدينية؛ إذ يواجه الدهر بالتحصّن بأمان الخالق وحفظه؛ فلا يخشى من حادثات الدهر ونوائبه؛ فقد واجه الدهر بقوة أقوى من قوته؛ إذ يقول في قصيدته (اللطيفة الثالثة: في الدعاء لدفع الآفات والكلاءة من طوارق المخافات):[الطويل]

وَكَيفَ أَخَافُ الحَادِثاتِ وإنَّمَا أَمَانُكَ لِيَ يا خَالِقِي كَانَ مَعْقِلا

وحِفْظُكَ حِرْزِيَ يا حَفيظُ ومُمْنَعِي فلَمْ أَخْتَشِ مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ مَوجَلا[٦٤]

وقد يأتي صراع أبي مسلم مع الدهر عن طريق مخاطبة طرف آخر في الظاهر؛ إلّا أنّ هذا الطرف الآخر غالبًا ما يكون هو ذاته، فيحضه على مواجهة الدهر والتصدي له كما في قوله: [البسيط]

لَتبْلُوَنَّكَ أخطارٌ فكُن خَطَراً يكادُ مِنكَ فؤادُ الدَّهرِ يَنذهِلُ[٦٥]

يوظف الشاعر آلية الخطاب بخبر يوجهه إلى مخاطب غالبًا ما يكون الشاعر نفسه (لتبلونّكَ أخطارٌ)، ولا شكّ في أنّ هذا الخبر يبعث الخوف والهلع؛ لهذا يتحول من الخبر إلى الإنشاء الطلبيّ موظفًا الأمر (كن خطرا) للتحضيض على مواجهة الأخطار مواجهةً ينذهل منها فؤاد الدهر.

وبآليّة الخطاب ذاتها يحذر الشاعر المخاطب من الوقوع في الغفلة أمام مكر الدهر؛ إذ يقول:[البسيط]

ولا تَنمْ وعُيونُ الدَّهر سَاهِرةٌ وإنْ تَنَاوَمَ فهو المَكْرُ والخَتَلُ[٦٦]

وقد وظّف الشاعر في خطابه الإنشاء الطلبي بأسلوب النهي ليمنع المخاطب من القيام بفعل (النوم)؛ إذ إنّ (عيون الدّهر ساهرةٌ)، ثم يوظف أسلوب الشرط إمعانًا في التحذير؛ فالدهر لا ينام و(إنْ تناوم) فتظاهره بالنوم (هو المَكْرُ والخَتَلُ).

ويصل (أبو مسلم) بعد طول تجربة في صراعه مع الدهر إلى أنّ المواجهة لا تستقيم بالتنظير، فلا بدّ أن تكون بالقول والعمل، حالها في ذلك حال الإيمان الذي لا يتحقق إلّا بالاثنين معًا، وهذا ما يتجلّى في قوله:[البسيط]

وهل نَفذْتُ شهاباً والخُطُوبُ دُجى وعندي الصَّارِمَانِ القُولُ والعَمَلُ[٦٧]

ومن خلال النصوص التي وقفنا عليها في مواجهة (أبي مسلم) للدّهر يظهر جليًّا أنّ هذا الشكل من أشكال الصراع قد اتخذ صورتين: أولاهما كان الشاعر فيها مواجهًا مباشرًا للدّهر، وأخراهما كان الشاعر فيه يوجه مخاطَبًا إلى مواجهة الدهر وغالبًا ما يكون هذا المخاطب هو الشاعر نفسه، وقد اختلفت درجات المواجهة حسب طبيعة الصراع الذي خاضه الشاعر مع الدهر.

الخاتمة:

تناولنا في هذه دراسة ثنائيّة التصالح والصراع مع الدهر في شعر أبي مسلم البهلانيّ، ووقفنا على ثلاثة محاور: أولها علاقة التصالح مع الدهر، واتخذت ثلاث صور هي: صورة الزمن الصرف، وصورة الفاعل الإيجابيّ، وصورة الفاعل السلبي، وثانيها علاقة الصراع مع الدهر،واتخذت ثلاث صور: الوصف السلبيّ، والشكوى، والمواجهة، وآخرها تحولات الصراع من الشكوى إلى المواجهة، وقد توجّه الشاعر بشكواه إلى ثلاث ذوات: الله عزّ وجلّ، الرسول صلّى الله عليه وسلم، الأوليا الصالحين، أما المواجهة مع الدهر فقد اختلفت احدّتها باختلاف قوة الشاعر وتماسكه في تلك المواجهة. ويمكن إجمال نتائج هذه الدراسة في الآتي:

. تجلت ثيمة الدّهر في شعر (أبي مسلم البهلانيّ) في لفظ الدّهر وألفاظٍ أخرى تنتمي إلى الحقل الدلاليّ للثيمة كـ (الأيام واليوم والزمان ...) وتجلّت في ثيمات فرعيّة تمثلت في جملة من الألفاظ مثل (النازلة، والواقعة والنوائب).

. وظّف (أبو مسلم البهلانيّ) ثيمة الدّهر في سياقين: أولهما حصر دلالة الدهر على الزمنيّة وعدم إلحاق الفاعليّة به، وآخرهما الخروج من الزمنيّة إلى الفاعليّة.

. تجلّت فاعليّة الدهر في شعر (أبي مسلم) في نوعين متناقضين هما : الفاعليّة الإيجابيّة، والفاعليّة السّلبية، وتكون ردة فعل الشاعر من تلك الفاعليّة على حسب حالته النفسيّة لحظة الإبداع.

. تفرّعت العلاقة القائمة بين (أبي مسلم البهلانيّ) والدّهر إلى علاقة التّصالح، وعلاقة الصّراع، إذ تجلّت علاقة التّصالح في حصر دلالة الدهر على الزمنّ بحت، أو في إلحاق الفاعليّة الإيجابيّة به؛ التي أنتجت الفرح والسرور من الدّهر، أو في الفاعليّة السلبيّة التي لا تستوجب صراعًا، بل يتحلّى فيها الشاعر بالصبر، أمّا علاقة الصّراع فتجلّت في إلحاق الفاعليّة السلبيّة بالدهر؛ إذ أنتجت الوصف السلبي للدهر تارة، الشكوى منه تارةً، ومواجهته تارة أخرى.

. نشأتْ علاقة تّصالح بين (أبي مسلم البهلانيّ) والدّهر؛ وذلك لاتّزان الشّاعر النّفسيّ ووعيه بأنّ الدّهر عنصرٌ مجرّد من الفاعليّة من ناحية، ولنظرته إلى الدّهر بأنه فاعل إيجابيٌّ من ناحيةٍ أخرى.

. تمثّلت علاقة الصراع بين (أبي مسلم البهلانيّ) والدّهر في صورتين: صورة الضعيف المستسلم الذي لا يملك غير ذمّ الدّهر والشّكوى منه، وصورة القوي المتماسك المواجه لنوائب الدّهر.

. كشفت الدراسة أنّ حلات صراع (أبي مسلم) مع الدهر تفوق حالات تصالحه؛ ويعود ذلك إلى الظروف التي أحاطت بالشاعر؛ إذ يصارع آلام الغربة عن وطنه من ناحية، ويصارع السلطة السياسيّة في عمان من ناحية أخرى، وقد أسقط ذلك الصراع على الدهر؛ ولهذا كانت حالات التصالح مع الدهر قليلةً مقارنة بحالات الصراع المتفاوتة بين الوصف السلبيّ والشكوى والمواجهة.

الهوامش:

(١) الأطرش، رابح، مفهوم الزمن في الفكر والأدب، مجلة المعيار، قسنطينة، الجزائر، ع ١٣، جويلية ٢٠٠٦م، ص ١٤٨.

(٢) شبلول، أحمد فضل، معجم الدّهر، وكالة الصحافة العربية (ناشرون)، مصر،م٢٠١٨، ص٥.

(٣) خليل، لؤي علي، الدّهر في الشعر الأندلسي – دراسة في حركة المعنى، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط ١، ٢٠١٠م. ص ١٧٦.

(٤) الواد، حسين، المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب (تلقي القدماء لشعره)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٤م، ص ٣٨٣.

(٥) مكليش، أرشيبالد، الشعر والتجربة، ترجمة: الجيوسي، سلمى الخضراء، مراجعة: صايغ توفيق، دار اليقظة العربية، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٦٣م، ص ١٣.

٦ أبو مسلم البهلاني: هو ناصر بن سالم بن عديّم البهلاني (١٢٧٧هـ ١٣٣٩هـ / ١٨٦٠م . ١٩٢٠م) شاعر وفقيه وصحافي ولد ونشأ في سلطنة عمان، وانتقل مع والده إلى زنجبار عام (١٨٧٨م) عاد إلى عمان عام (١٨٨٣م) وظل فيها حتى عام (١٨٨٧م) ثم رجع إلى زنجبار وبقي فيها حتى وفاته عام (١٩٢٠م)، الموسوعة العمانيّة، المجلد العاشر، وزارة التراث والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ط١، ٢٠١٣م، ص ٣٥٩٠ . ٣٥٩٤

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

(٧) خليل، لؤي علي، الدّهر في الشعر الأندلسي – دراسة في حركة المعنى، ص ١٧٩.

٨ الرَّواحي، ناصر بن سالم بن عُديِّم، الآثار الشعريَّة لأبي مُسْلِم البهلانيّ، حقّقها ووضع حواشيها وقدّم لها: محمد الحارثي، عُنِيَ بمُراجعتها وتدقيقها: ناصر بن إسحاق الكندي، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠١٠م، ص٢٤٢

٩ نفسه، ص ٤٠٤.

(١٠) خليل، لؤي علي، الدّهر في الشعر الأندلسي – دراسة في حركة المعنى، ٩٧.

١١ الرواحي، ناصر بن سالم بن عديم، الآثار الشعرية لأبي مسلم البهلاني، ص ٤٦٠.

١٢ نفسه، ص ٦٨٨.

١٣نفسه، ص٦٨٨

(١٤) النيسابوري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: الفاريابي، نظر محمد، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط ١، ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦م، رقم الحديث: ٢٦٦٤، ص ٢٠٥٢.

١٥ الرواحي، ناصر بن سليم بن عديم، الآثار الشعرية لأبي مسلم البهلاني، ص ٢٤٨.

١٦ نفسه، ص ٤٩٧.

(١٧) النيسابوري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، رقم الحديث: ٢٥٣٥، ص ١٩٦٤.

١٨ الرواحي، ناصر بن سالم بن عديم، الآثار الشعرية لأبي مسلم البهلاني، ص ٤٢٩.

١٩ نفسه، ص ٨٢٦.

٢٠ نفسه، ص ٨٢٦.

٢١ نفسه، ص ٦٨٨.

٢٢ نفسه، ص ٤٦١.

٢٣ نفسه، ص ٦٨٨.

(٢٤) محجوب، فاطمة، قضية الزمن في الشعر العربي – الشباب والمشيب، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص٧.

(٢٥) خليل، لؤي علي، الدّهر في الشعر الأندلسي – دراسة في حركة المعنى، ص ١٨٢.

٢٦ الرواحي، ناصر بن سليم بن عديم، الآثار الشعرية ، ص ٧٢٣.

(٢٧) خليل، لؤي علي، الدّهر في الشعر الأندلسي، ص ١٨٠.

(٢٨) اسماعيل، عز الدين، التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، القاهرة، مصر، ط ٤، د ت، ص ٦٤.

٢٩ الرواحي، ناصر بن سليم بن عديم، الآثار الشعرية لأبي مسلم البهلاني، ص ٥٣٣.

٣٠ نفسه، ص ٥٦١.

٣١ نفسه، ص ٦٥٦.

٣٢ نفسه، ص ٦٥٦.

٣٣ السماسم: هي النمل الأحمر، وكذلك الثعالب، انظر الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مادة سمم.

٣٤ الرواحي، ناصر بن سالم بن عديم، الآثار الشعرية لأبي مسلم البهلاني، ص ٦٥٧.

٣٥ نفسه، ص ٦٨٨.

٣٦ نفسه، ص ٤٨٨.

٣٧ نفسه، ص ٥٤٧.

٣٨ نفسه، ص ٦٥٤.

٣٩ نفسه، ص ٥١٤.

٤٠ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، ، تحقيق، عبدالله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط١، ٢٠٠٤، ص١٣٧

٤١ محمد بن يوسف اطفيش الملقب بـ (قطب الأئمة) علامة فقيه من الجزائر، وأحد زعماء الإصلاح في المغرب العربي، ولد في غرداية عام ١٨١٨م وتوفي عام ١٩١٤م، تخرج على يديه الكثير من المشايخ والأئمة والدعاة والقضاة، وله من المؤلفات التي تجاوزت ٣٠٠ مؤلفًا، أبرزها موسوعته في الفقه المقارن (شرح النيل وشفاء العليل).

٤٢ نفسه، ص ٧٣١.

٤٣ نفسه، ص٧٣١.

(٤٤) زيتوني، عبد الغني أحمد، الإنسان في الشعر الجاهلي، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية المتحدة، ط ١، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١م، ص ٤٦٤.

(٤٥) رومية، وهب أحمد، شعرنا القديم والنقد الجديد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٦م، ص ٢٧١.

٤٦ الرواحي، ناصر بن سالم بن عديم، الآثار الشعرية لأبي مسلم البهلاني ، ص ٦٦٦.

(٤٧) أدونيس، ديوان الشعر العربي، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، د ط، مج ١، ١٩٩٦م، ص ٢٨.

(٤٨) شال، علي بيراني، آقاج، علي حسين غلامي يلقون، الشكوى من الشقاء والفقر والظلم والدّهر في شعر حافظ إبراهيم، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، ع ٢٤، ١٣٩١هـ، ص ٢٥.

(٤٩) المطرفي، حمد محمد خضر، الدّهر في ديوان الهذليين، ماجستير في الأدب، تخصص: الأدب والنقد والبلاغة، جامعة أم القرى، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م، ص ١١٨.

٥٠ الرواحي، ناصر بن سليم بن عديم، الآثار الشعرية لأبي مسلم البهلاني، ص ١٣٢.

٥١ نفسه، ص ١٣٣.

٥٢ نفسه، ص ٢٣٥.

٥٣ نفسه، ص ٤٤٢.

٥٤ نفسه، ص ٤٤٤.

٥٥ نفسه، ص ٤٤١.

٥٦ نفسه، ص٤٤١.

٥٧ نفسه، ص٤٤١.

٥٨ نفسه، ص ٤٤١.

٥٩ نفسه، ص ٤٧٠.

(٦٠) المطرفي، حمد محمد خضر، الدّهر في ديوان الهذليين، ص ٧٢.

٦١ الرواحي، ناصر بن سالم بن عديم، الآثار الشعرية لأبي مسلم البهلاني، ص٧٢٨

(*) تظهر بعض نصوص أبي مسلم البهلاني الشعرية توجهه بالخطاب لآخر، وهذا الآخر يحتمل قراءتين: الأولى وهي أنّ (أبا مسلم) بالفعل يتجه بخطابه إلى متلقٍ آخر، أو أنه يوجه خطابه لذاته هو كأنه ذات أخرى غير ذاته.

(٦٢) زيتوني، عبد الغني أحمد، الإنسان في الشعر الجاهليّ، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية المتحدة، ط ١، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١م، ص ٤٦٦.

٦٣ الرواحي، ناصر بن سالم بن عديم، الآثار الشعرية لأبي مسلم البهلانيّ، ص ٦٨٩.

٦٤ نفسه، ص ٢٣٤.

٦٥ نفسه، ص ٦٩١.

٦٦ نفسه، ص ٦٩١.

٦٧ نفسه، ص ٦٩٠.

المراجع:

١) أدونيس، ديوان الشعر العربي، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، د ط، مج ١، ١٩٩٦م.

٢) اسماعيل، عز الدين، التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، القاهرة، مصر، ط ٤، د ت.

٣) الأطرش، رابح، مفهوم الزمن في الفكر والأدب، مجلة المعيار، ع ١٣، القسطنطينية، الجزائر، جويلية ٢٠٠٦م.

٤) خليل، لؤي علي، الدّهر في الشعر الأندلسي – دراسة في حركة المعنى، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط ١، ٢٠١٠م.

٥) الرَّواحي، ناصر بن سالم بن عُديّم، الآثار الشعريَّة لأبي مُسْلِم البهلانيّ، حقّقها ووضع حواشيها وقدّم لها: محمد الحارثي، عُنِيَ بمُراجعتها وتدقيقها: ناصر بن إسحاق الكندي، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠١٠م.

٦) رومية، وهب أحمد، شعرنا القديم والنقد الجديد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٦م.

٧) زيتوني، عبد الغني أحمد، الإنسان في الشعر الجاهليّ، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية المتحدة، ط ١، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١م.

٨) شال، علي بيراني، آقاج، علي حسين غلامي يلقون، الشكوى من الشقاء والفقر والظلم والدّهر في شعر حافظ إبراهيم، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، ع ٢٤، ١٣٩١هـ.

٩) شبلول، أحمد فضل، معجم الدّهر، وكالة الصحافة العربية (ناشرون)، مصر،٢٠١٨م.

١٠) الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨م

١١) محجوب، فاطمة، قضية الزمن في الشعر العربي – الشباب والمشيب، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ط، د ت.

١٢) النيسابوري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: الفاريابي، نظر محمد، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط ١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

١٣) المطرفي، حمد محمد خضر، الدّهر في ديوان الهذليين، ماجستير في الأدب، تخصص: الأدب والنقد والبلاغة، جامعة أم القرى، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

١٤) مكليش، أرشيبالد، الشعر والتجربة، ترجمة: الجيوسي، سلمى الخضراء، مراجعة: صايغ توفيق، دار اليقظة العربية، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٦٣م.

١٥) الموسوعة العمانيّة، المجلد العاشر، وزارة التراث والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ط١، ٢٠١٣م

١٦) الواد، حسين، المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب (تلقي القدماء لشعره)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ٢، ٢٠٠٤م.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ
OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq